لمحة عن

الخط العربي ورسم القرآن الكريم

ا.امحمد بن نبري
كلية العوم الاجتماعية والعوم الإسلامية
جامعة باتنة- الجزائر

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين وبعد:
فهذه نبذة عن الخط العربي وتاريخه، مع اعتناء خاص بالخط القرآني وذكر سبب مخالفة رسمنا الإملائي له.

الخط هو الصورة الكتابية لحروف وحركات اللفظ ويسمى رسما(1) وقد عرّفه ابن الحاجب بقوله هو : (تصوير اللفظ بحروف هجائه...)(2) وقال إبن خلدون: (هو رسوم وأشكال حرفية تدل على الكلمات المسموعة الدالة على ما في النفس، فهو ثاني رتبة من الدلالة اللغوية وهو صناعة شريفة)(3).

فلرسم حروف الكلمة أثر في تأدية المعاني المكنونة في النفس، وكذلك في تمييز متشابهها ومشكلها كما أن للخطوط منزلة عظيمة لا تنكر، فعن طريقها استطاعت الأمم أن تخلد مآثر أعمالها وآراء علمائها عبر الحقب وأن تتداولها عبر الأقطار.

ولعظم شأن الكتابة وجلالة قدرها نوه بها القرآن الكريم إذ قال تعالى<< ن والقلم وما يسطرون>>(القلم 1) هذا ويلاحظ أن أكثر اللغات لها خطوط معروفة متداولة، وبعضها ليس له خط وهي اللغات الشفاهية، وليس عسيرا وضع خط لها يقابل أصواتها إذ هو اصطلاح، والخطوط تالية للغات في الظهور إذ بها يبتدئ التأريخ، وعصور ما قبل التاريخ هي العصور التي

لم تكن فيها اللغات مدونة، فهي مرحلة موغلة في القدم، تبدأ من خلق الإنسان الأول سيدنا آدم عليه السلام إلى ظهور الكتابة، هذا ما قرره المحدثون(4)

والجدير بالملاحظة أن خطوط اللغات غير وافية بنقل أصوات لغاتها، وتتخللها عيوب ونقائص شتى، فقد ينطق الحرف ولا صورة له، كما قد توجد الصورة الكتابية لحرف غير منطوق، وبعض اللغات تعبر عن الحرف الواحد بصورتين مثل PH لصوت الفاء في الفرنسية و TH لصوت الذال أو الثاء في الإنجليزية وتعبر بالصورة الواحدة عن حرفين مثل C ينطق سينا وفي بعض المواضع ينطق كافا. ومن اللغات ما تنعدم فيها بعض الحروف تماما فلا توجد فيها أصواتها ولا ينطق بها أهلها مثل حروف الحلق كالعين والحاء والهاء فلا وجود لها في الفرنسية والإنجليزية، وربما استعانوا بصورتين للنطق بحرف واحد غير موجود عندهم مثل الخاء فهو عندهم KH والذال هو عندهم DH وغير هذا من الهنات التي خلا عن كثير منها خطنا العربي. وهم يعللون مثل هذا بالنظر إلى أصل اللفظة الأجنبي أو بالتطور الصوتي في لهجة الناطقين بها أو غير ذلك.

نشأة الخط:

لقد مرت الكتابة بتاريخ طويل قبل أن تصلنا على النحو الذي هي عليه اليوم. حيث يذهب المحدثون إلى أنها (بدأت تصويرية قد يرمز فيها المرء بالصورة الواحدة لعبارة ذات أحداث متعددة ثم صارت أخيرا إلى الكتابة الهجائية التي يرمز فيها الصوت الواحد بحرف واحد، فأخذ كل حرف الفكرة الكلية وأصبح يستعمل في الكلمات المتباينة)(5). وقد اصطلح علماء اللغة على تسمية النوع الأول من الكتابة بالرسم المعنوي Idéographique وعلى تسمية الثاني بالرسم الصوتي phonétique (6).

هذا وقد اختلف الباحثون في أول من وضع الخط وفيما يلي عرض موجز لآراء القدماء والمحدثين.

1. آراء القدماء:

يعزى إلى كعب أنّ أوّل من وضع الكتابة العربية وغيرها آدم عليه

من وضعها(8) وهذا ممّا لا يمكن الجزم به لانقطاع سنده. وقد اختلف في واضع الخط العربي أيضا فيروى عن ابن عباس (ض) أنّه قال: أوّل من وضع الكتاب العربي إسماعيل(9) وقال هشام الكلبي: أوّل من وضعه قوم من العرب العاربة نزلوا في عدنان بن أدّ (10) وروى مكحول عن رجاله أن أوّل من وضعه نفيس ونصر وتيم ودومة ولد إسماعيل عليه السلام (11) وقيل: إن الخط العربي أوّل ما ظهر في مدين.(12)

هذا وقد كان لليمنيين خط قديم هو المسند بلغوا به مبلغا كبيرا من جمال التنسيق وتنظيم أشكاله الهندسية وإن كانت لغتهم القحطانية (العربية الجنوبية) التي كتبوها به مختلفة عن العدنانية (العربية الشمالية) 13).

كما كان العرب في سابق عهدهم بالعراق أهل كتابة فيروى أن ضخم بن إرم هو أوّل من علّمهم إياها، ووضع حروف المعجم التسعة والعشرين (14). وبعدما نزح العرب إلى البادية شغلوا عن القراءة والكتابة فتناسوها. وفشت فيهم الأمية وخاصة النساء، فما عرفن القراءة والكتابة إلا بمجيئ الإسلام، ولهذا سمي من لايقرأ ولايكتب أميا نسبة إلى الأم. وقيل: نسبة إلى الأمّة أي عموم الناس، وكان هذا الوصف شائعا فيهم وإن وجد في الرجال من يحسن القراءة والكتابة وكانت بينهم محل تفاخر وتعظيم (15) كانت الكتابة باقية في بعض الحواضر العربية كاليمن والحجاز ومكة والمدينة والحيرة والأنبار ونجد ولذلك وجدت عند بعض أهل المدينة وبعض طيئ وبعض قريش وكنانة. ومما يذكر عن ابن عباس (ض) أن الذين وضعوا الكتابة أي علموها للعدنانيين بنجد ثلاثة نفر من بني بولان - وهي قبيلة من طيئ من عرب اليمن القحطانيين الذين نزحوا بعد سيل العرم ونزلوا مدينة الأنبار - هؤلاء النفر الثلاثة هم: مرامر بن مرة وأسلم بن سدرة وعامر بن جدرة ويقال: مروة وجدلة (16).

ويذكر أيضا أن الذي نقل الخط إلى الحجاز هو حرب بن أمية (17) وقيل: أبو قيس بن عبد مناف بن زهرة (18).
ونقل الداني عن الشعبي قال : (سألنا المهاجرين من أين تعلمتم الكتاب قالوا: من أهل الحيرة، وقالوا لأهل الحيرة: من أين تعلمتم قالوا: من

قالوا: من أهل الحيرة، وقالوا لأهل الحيرة: من أين تعلمتم قالوا: من الأنبار)(19).

هذا وقد تعددت أسماء الخطوط العربية تبعا لتعدد مواضع وجودها، وأشكال رسم حروفها وخاصة خطوط المصاحف وقد سرد ابن النديم بعضا منها في فهرسته كالمكّي والمثلث والمدوّر والكوفي والبصريّ والمشّق والمراصف (20)...

كما ظهر نبغاء على ممّر العصور، تفننوا في جمالياته، وتنافسوا في إتقانه ومن أشهرهم خالد بن أبي الهياج ومالك بن دينار وابن ثوابة والضحاك بن عجلان وإسحاق بن حماد والفضل بن سهل ذو الرياستين ومقلة وآله.(21).

2. آراء المحدثين:

لقد بنى المحدثون آراءهم في نشأة الخط على ما وقفوا عليه من نقوش تاريخية، فذكروا أن السومريين وهم شعب كان بجنوب العراق مجهول الأصل، إشتهروا بالخط المسماري وقد أخذه عنهم الساميون الذين نزحوا إلى جهات العراق، واستخدموه في تدوين لغاتهم الأكادية، وكان هذا الرسم في أقدم مراحله معنويا يشار فيه بالرمز إلى المعنى لا إلى الصوت فكان يرمز بصورة النجم مثلا إلى معنى السماء(أنا ANA في السومرية) وإلى معنى الإله (دينجير Dinjir في السومرية) فكان الساميون يستخدمون الرمز نفسه في المعنيين إلاّ أنّ نطقهم له كان مختلفا حيث كانوا يقرأونه وفق ما يقابله في مفردات لغتهم وهو (سمو Samu بمعنى سماء في لغة الساميين) أو (الو ILU بمعنى إله في لغتهم أيضا) ثم أخذت الرموز تدل أحيانا عل أصوات مقطعية مجردة عن الدلالة لكل مقطع صوتان او أكثر وأدخل الساميون على الرموز السومرية تعديلات في دلالة بعضها على حسب ماكان في مفرداتهم السامية(22) .

وكذلك يذكر عن الرسم الهيروغليفي عند قدماء المصريين أنه كان معنويا في مراحله الأولى ثم آل إلى التعبير عن الأصوات المقطعية فالهجائية

وهي التعبير عن الأصوات المفردة إلا أن خطهم كان مزيجا بينها جميعا ولم يستقلوا بأسلوب معين (23) ومن اللغات التي حافظت على الرسم المعنوي إلى الآن الصينية (24).

أما الأبجدية المستعملة لدينا اليوم والتي هي رسم ساميّ هجائي بحت يرمز كلّ حرف منه إلى صوت مفرد فيرجح كثير من الباحثين أنه ظهر أوّلا في بلاد الكنعانيين والفينيقيون هم مخترعوه وإن كان لا يعلم تاريخ اختراعه إلاّ أن الثابت أنه كان معروفا قبل القرن 10ق.م ببضعة قرون (25) وقد بلغت حروفهم إثنين وعشرين حاكوا في بعضها بعض ما اشتمل عليه الخط الهيروغليفي كما ذهب إليه الدكتور وافي(26). وقد انتشرت حروف الهجاء الفينيقية وتفرعت منها حروف الهجاء في مختلف اللغات الإنسانية على النحو الذي يشير إليه الجدول التالي (27).

هذا ولعل خط المسند هو أصل هذه الخطوط كلها وقد كان تاما منظما عدد حروفه تسع وعشرون ومما يرجح هذا ماذكرته سابقا من بعض مرويات قدمائنا وهو رأي بعض الباحثين المحدثين أيضا (28) وقد رجح العقاد كون الخط الأصل الذي اشتقت منه سائر الخطوط عربيا ولم أقف على تعيينه لموضع نشأته (29)

خطّ القرآن الكريم (الرسم):

اختلف العلماء في حروف وقعت في القرآن الكريم على غير الخط الإملائي المعتاد، وحاولوا الإجابة عن ذلك، فجاء كلامهم مبنيا على ما يعتقدونه في أصل نشأة اللغة، وما يلتزمونه من منهج في دراسة الظواهر الاجتماعية، ومنها صناعة الخط.

وقبل الخوض في بيان آراء العلماء، يجدر بنا ذكر المسائل التي تنحصر فيها قضية الرسم القرآني وهي ست: << الحذف والزيادة والهمز والبدل والوصل والفصل وما فيه قراءتان فكتب على إحداهما (30)

1. فالحذف مثل حذف الألف في هؤلاء ولكن ويأيها ...
2. والزيادة مثل زيادة الألف في بنوا إسرائيل وألوا الألباب ومائة

ولا أذبحنه...

3. والهمز مثل ايذن واوتمن وجيناك بدونه والمؤتون وهؤلاء بتحقيقه...

4. والبدل مثل الصلوة والزكوة والحيوة الألف تكتب واوا ويتوفيكم تكتب ياء.

ورحمت ونعمت وسنت وامرأت ومعصيت وفطرت بالتاء المفتوحة بدل الهاء...

5. الوصل والفصل مثل: أن لا أقول، وأن لا تعبدوا، ومن مارزقناكم، وفمال الذين كفروا بالفصل ويبنؤمّ بالوصل...

6. ما فيه قراءتان فكتبت على إحداهما مثل: مالك يوم الدين، وتفادوهم ولولا دفاع، وزاكية، وفلا تصاحبني وغيابت الجب، وثمرت من أكمامها وجمالات..

وتجدر الإشارة إلى أنّ الأصل في نقل القرآن إلينا هو حفظ الصدور وليس خط السطور، وإلى هذا يشير ابن الجزري بقوله: (ثم إن الاعتماد في نقل القرآن على حفظ القلوب والصدور لا على حفظ المصاحف والكتب وهذه أشرف خصيصة من الله تعالى لهذه الأمة)(31)

وقد عرف العلماء الذي يتصدى للتلاوة وتعليمها وهو المقرئ بأنه (العالم بها رواها مشافهة، فلو حفظ التيسير مثلا ليس له أن يقرئ بما فيه إن لم يشافهه من شوفه به مسلسلا لأن في القراءات أشياء لا تحكم إلا بالسماع والمشافهة)(32).

وبناء على ما سبق، لم تكن الكتابة في المصاحف إلا عونا للقارئ وتذكيرا للتالي لاغير هذا ويعد رسم المصحف سنة متبعة باتفاق الأئمة الأربعة وسائر المجتهدين.(33)

فلايجوز لنا العدول عنه. فقد (سئل مالك رحمه الله هل يكتب المصحف على ما أحدثه الناس من الهجاء؟ فقال: لا إلا على الكتبة الأولى) (34) قال أبو عمرو الداني بأنه (لا مخالف له في ذلك من علماء

الأمة)(35). ونقل السيوطي عن الإمام أحمد أنه (يحرم مخالفة خط مصحف عثمان في واو أو ياء أو ألف أو غير ذلك)(36)، وإلى مثل هذا المنع ذهب البيهقي في شعب الإيمان (37)

مذاهب العلماء في الرسم القرآني:

هناك مذهبان مشهوران في أصل الرسم القرآني هما: مذهب التوقيف ومذهب الاصطلاح فمن أنصار المذهب الأوّل ابن فارس الرازي الذي يرى أن الخط العربي كله توقيف من عند الله تعالى، وقد أستدل بظاهر القرآن وهو قوله تعالى: (اقرأ وربك الأكرم، الذي علم بالقلم، علم الإنسان مالم يعلم) (العلق 5 – 4 – 3) وقوله سبحانه: (ن والقلم ومايسطرون) (القلم 1) قال ابن فارس: (وإذا كان كذا فليس ببعيد أن يوقف آدم – عليه السلام – أو غيره من الأنبياء – عليهم السلام – على الكتاب فأما أن يكون مخترع اخترعه من تلقاء نفسه فشيئ لا تعلم صحته إلا من خبر صحيح)(38) وممن ذهب إلى توقيفيته أيضا محمد حبيب الله الشنقيطي (39) بل إنه أمعن في ذلك –مثل بعض العلماء– فزعموا أن القرآن الكريم معجز برسمه أيضا كما ثبت إعجازه بلفظه ونظمه. وأن أسرار ذلك كله مستورة عن العقول لا يهتدى إليها ولا يوقف على المراد منها إلا بواسطة الكشف الرباني (40) .

ويذهب الحذاق من العلماء إلى أن الخط صناعة كسائر الصنائع مرتبطة جودته بمقدار حضارة الأمة، وكثرة عمرانها وتفننها في الكمالات قال ابن خلدون: (ولهذا نجد أكثر البدو أميين لا يكتبون ولا يقرأون، ومن قرأ منهم أو كتب فيكون خطه قاصرا ، أو قراءته غير نافذة، ونجد تعليم الخط في الأمصار الخارج عمرا نها عن الحد أبلغ وأحسن وأسهل طريقا، لا ستحكام الصنعة فيها) (41).

وبناء على هذا، فقد كان الخط زمن الصحابة رضي الله عنهم، غير بالغ مبلغ الكمال والحسن لمكانهم من البداوة والبعد عن الصنائع، فظهر في كتابتهم المصحف الكريم آثار ذلك، من مخالفة الخط لقواعد صناعته، واتبعهم من جاء بعدهم من التابعين وتابعيهم في رسمهم تبركا بهم رضي الله عنهم أجمعين (42).

ويرد ابن خلدون على من يسميهم (المغفلي) الذين يعتقدون أن الصحابة رضي الله عنهم كانوا محكمين لصناعة الخط كما يذكر أن السبب الذي دعا هؤلاء إلى القول بما قالوا، هو رومهم تنزيه الصحابة (ض). اعتقادا منهم أن الخط كمال فيهم، وعدمه نقيصة، فيبين أن النقائص انما تكون في انعدام الكمالات الذاتية كالديانة والأخلاق. بينما حسن الخط هو كمال إضافي، متعلق بأسباب المعاش ودرجة العمران فليس نقصه براجع إلى دينهم وخلالهم(43).

أقول، وكلام ابن خلدون هذا على صوابه لا ينبغي أخذه على إطلاقه. أعني ما يخصّ المخالفات في الرسم، فكثير من هذه المخالفات إنما كانت لمقاصد كما سيأتي تحقيقه.

وممن ذهب إلى إصطلاحية الرسم القرآني الشيخ محمد الطاهر بن عاشور فهو يقرر أن رسم الأولين لم يكن منضبطا(44)، ولم تكن له قواعد متفق عليها(45) في صدر الإسلام، وأن الاعتماد لدى العرب على حوافظهم(46).

لذلك جاءت كلمات من القرآن الكريم مخالفة لما يقتضيه قياس الإملاء الذي حدث من بعد، حيث لم يكونوا يتوخون الفروق في رسم الخط(47) فقواعد الإملاء وجدت متأخرة بعد كتابة المصاحف في أول العهد. وإنما اتبع المتأخرون عن ذلك الزمان رسم سلفهم تبركا بآثار الصحابة رضي الله عنهم، وتيمّنا بخطهم، فكان << رسم المصحف سنّة سنّها كُتّاب المصاحف، فأقرّت، وإنما العمدة في النطق بالقرآن على الرواية والتلقّي، وماجعلت كتابة المصحف إلا تذكرة وعونا للمتلقّي >>(48).

تعليل ظواهر الرسم القرآني:

عني كثير من العلماء بتعليل ما لاحظوه في الرسم القرآني من مخالفات، وتوجيهها بما يناسب من المعاني. ولكن لم تكن تلك التعليلات مصيبة وجه الحقيقة في كلّ موضع.فمنها ما هو مقبول وحقّ، ومنها ما هو

مردود ولا يعقل بأيّ حال الالتفات إليه.

تعليلات غير مقبولة:

من العلماء من لم يلتفت إلى فكرة التعليل أصلا، فجمد جمودا حرفيا على القول بتوقيفية الرسم القرآني ولم يعر غيرها اهتماما ولا ألقى له بالا ومن هؤلاء الشنقيطي محمد حبيب الله، الذي قال عن حذف ألف اللّه واللّهمّ الذي سببه معروف وهو الشهرة وكثرة الإستعمال كما أثبته الخراز وهو الوجه الذي يجب احتذاؤه. فقد قال عنه الشنقيطي إنّه << لا يجدي نفعا إلا من باب التحسين وتمليح العلم >> (49)

ومما يبدو عليه التكلف، ما تأوّل به أبو العباس المراكشي فيما نقل عنه السيوطي أنّ السر في حذف بعض الحروف << التنبيه على سرعة وقوع الفعل وسهولته على الفاعل وشدّة قبول المنفعل المتأثر به في الوجود>> (50)

ففي قوله تعالى << ويدع الإنسان>> قال إنّه << يدل على أنه سهل عليه ويسارع فيه كما يسارع في الخير بل إثبات الشر إليه من جهة ذاته أقرب إليه من الخير>> (51). وفي قوله تعالى (ويمح الله الباطل) (فللإشارة إلى سرعة ذهابه واضمحلاله) (52) وأن السرّ في زيادة ما زيد من الحروف هو التفخيم والتهويل والتهديد والوعيد نحو: مائة والظنونا، والسبيلا ولا أذبحنّه وبأيّيكم المفتون (كما زيدت في بأييد تعظيما لقوة اللّه تعالى التي بنى بها السماء التي لا تشابهها قوة)(53)

تعليلات مقبولة:

لقد حاول الحذّاق من العلماء الإجابة عن ظواهر الرسم القرآني، فوجّهوا كثيرا من الكلمات المرسومة في المصحف الشريف، وبينوا المقاصد التي أريدت بها وهذا هو الذي ينبغي على المنصف المحقّق أن يعمله. فيجب التمهل، والتّثبّت فيما يصدر من أحكام على رسوم القرآن الكريم، كي لا ينساق المرء إلى ما لا تحمد عاقبته. فممّا هو أقرب إلى القبول وأدنى إلى الصحة في تعليل تلك الظواهر، ما ذكره الكرماني من أنّ صورة الفتحة كانت ألفا في الخطوط القديمة قبل الخط العربيّ وصورة الضمة كانت واوا وصورة

الكسرة كانت ياء (فكتبت لا أوضعوا ونحوه بالألف مكان الفتحة وإيتاي ذي القربى بالياء مكان الكسرة وأولئك ونحوه بالواو مكان الضمة لقرب عهدهم بالخط الأول) (54)

وممن ذهب إلى مثل هذا من المحدثين الشيخ محمد الطاهر بن عاشور، فهو يحتمل أنه كانت قديما طريقة أخرى في الخط، فيقول عن سبب كتابة (ما ل هذا)بفصل اللام عن الهاء في اسم الإشارة وكذا(مال الذين كفروا) و(مال هؤلاء) يقول لعلها (طريقة رسم قديم كانت الحروف تكتب منفصلا بعضها عن بعض ولا سيما حروف المعاني، فعاملوا ما كان على حرف واحد معاملة ما كان على حرفين، فبقيت على يد أحد كتّاب المصحف آثارٌ من ذلك، وأصل حروف الهجاء كلّها الانفصال، وكذلك هي في الخطوط القديمة للعرب وغيرهم. وكان وصل حروف الكلمة الواحدة تحسينا للرسم، وتسهيلا لتبادر المعنى. وأما ما كان من كلمتين فوصله اصطلاح، وأكثر ما وصلوا منه هو الكلمة الموضوعة على حرف واحد، مثل حروف القسم أو كالواحد مثل (ال)) (55)

ومن أمثلة ما وجهه الشيخ ابن عاشور من الرسوم مايلي:

1. مالوحظ فيه حالة النطق والوصل:

أ - كتب في المصحف (ويدع الإنسان، الإسراء11) << بدون واو بعد العين إجراء لرسم الكلمة على حالة النطق بها في الوصل، كما كتب (سندع الزبانية) ونظائرها. قال الفراء: لو كتبت بالواو لكان صوابا>> (56).

ب - كتب (إمّا يبلغن) بميم مشدّدة وحقها الفصل مراعاة لنطق نون إن الشرطية مدغمة في ميم (ما) الزائدة بعدها، وتبع الناس هذا الرسم غالبا (57)

جـ - كتب " (ننج المؤمنين) بدون ياء بعد الجيم على صورة النطق بها لا لتقاء الساكنين)(58) .

د - كتب (أيه، النور 31) بهاء في آخره، اعتبارا بسقوط الألف في حالة الوصل مع كلمة المؤمنون بعدها (59).

هـ) - كتب (شجرت الزقوم، الدخان 43) (بتاء مفتوحة، مراعاة لحالة الوصل وكان الشائع في رسم أواخر الكلم أن تراعى فيه حالة الوقف،

فهذا مما جاء على خلاف الأصل)(60).

(2ما لوحظ فيه التنبيه ورفع اللبس:

أ - قال عن كتابة (لأ اوضعوا) بألف بعد همزة أوضعوا التي في اللام ألف حيث وقع بعد اللام ألفان فأشبهت اللام ألف لا النافية، والحال أنّ الفعل أوضعوا مثبت قال: (فلا أراهم كتبوا ألفا بعد اللام ألف فيما كتبوها فيه إلاّ لمقصد، ولعلّهم أرادوا التنبيه على أنّ الهمزة مفتوحة وعلى أنّها همزة قطع) (61)

ب - وقال في قوله تعال: (ولم يكن لهم من شركائهم شفعؤا)... الروم 13.

(وكتب في المصحف (شفعؤا) بواو بعد العين وألف بعد الواو، أرادوا بالجمع بين الواو والألف أن ينبّهوا على أنّ الهمزة مضمومة ليعلم أنّ (شفعاء) اسم (كان) وأن ليس اسمها قوله (من شركائهم) بتوهّم أنّ (من) اسم بمعنى بعض، أو أنها مزيدة في النفي، فأثبتوا الواو تحقيقا لضمّ الهمزة، وأثبتوا الألف لأنّ الألف صورة للهمزة)(62)

جـ - وقال : (ويكتب أولات بواو بعد الهمزة في الرّسم تبعا لكتابة لفظ أولو بواو بعد الهمزة لقصد التفرقة في الرسم بين أولي في حالة النصب والجر و بين حرف إلى، وليتهم قصروا الكتابة بواو بعد الهمزة على لفظ أولي المذكّر المنصوب أو المجروروتركوا التكلّف في غيرهما)(63).

د - كتبت كلمات الصلاة والربا والزكاة والحياة بالواو إشارة إلى أصلها الواوي (64)

هـ -(تترا) قرئ بالتنوين وبدونه، وكتب على صورة الألف الأصلية مع أنها في قراءة الجمهور ألف تأنيث مقصورة وشأنها أن تكتب على صورة الياء: (فلعلّ كتّاب المصاحف راعوا كلتا القراءتين، فكتبوا الألف بصورتها الأصلية لصلوحية نطق القارئ على كلتا القراءتين، على أنّ أصل الألف أن تكتب بصورتها الأصلية، وأمّا كتابتها في صورة الياء حيث تكتب كذلك، فهو إشارة إلى أصلها، أو جواز إمالتها. فخولف ذلك في هذه اللفظة لدفع اللبس)(65).

ملاحظات على كلام ابن عاشور عن الرسم القرآني:

1. وقع في كلام للشيخ توجيه رسم كلمة بأنها توقيف، وهو أمر غريبٌ إذ ليس من مذهبه القول به، وذلك قوله (وكتب في رسم المصحف <ولقائي> بهمزة على ياء تحتية للتنبيه على أنّ الهمزة مكسورة وذلك من الرسم التوقيفي، ومقتضى القياس أن تكتب الهمزة في السَطر بعد الألف) (66)

2. لم أجد هذه الياء التي قال بأنها مكتوبة تحت الهمزة - أي في الكلمة السابقة الذكر وهي (لقائي) - ولا توجد هذه الياء في تفسيره أيضا، فهو سهو.

3. وعند قوله تعالى: (وقيل لهم أين ما كنتم تعبدون) الشعراء 92، قال بأن أين ما، كتبت موصولة في المصاحف، وليست هي كذلك، بل كتبت مفصولة أيضا في تفسيره (67)، فهو سهو أيضا.

4. قال في موضع بأنّ كتابة الحياة بالواو إشارة إلى أصلها(68)، وفي موضع آخر قال هي مخالفة للقياس ولم يوجّهها (69).

الخلاصة:

يتبين لنا مما سبق أنّ الخط العربي ضارب في التاريخ القديم، وقد مرّ عبر مراحل مختلفة قبل أن يصلنا على النحو الذي هو عليه الآن من التهذيب والتحسين.

وأنّ قواعد الكتابة لم توجد إلاّ متأخرة عن صدر الإسلام، شأنها في هذا شأن العلوم الأخرى الإسلامية والعربية الحادثة في الملّة. وأنّ رسم المصحف الشريف له خصوصيات مرتبطة بقداسة الوحي المكتوب وبركة كاتبيه، لذا وجب احترامه وعدم مخالفته.

وعلى الرغم من النزغات (بالغين المعجمة) التي ظهرت في العصر الحديث من بعض الناس وبعض الهيآت، للنيل من الإملاء العربي تحت شعارات مختلفة مثل الإصلاح والتسيير، فإنهم لم يصيبوا منه شيئا، فثبت عبر العصور، لابتنائه على أسس وطيدة، فقد راعى فيه القدماء اعتبارات مختلفة فيه، منها ما يرجع إلى التيسير في رسم ما شاع استعماله، ومنها ما يرجع إلى إزالة اللبس في المتشابهات، ومنها ما يرجع إلى بيان الأصول التصريفية للألفاظ (70) وغير ذلك ممّا مرّ ، ولله الحمد في الأولى والآخرة.

وعلى الرغم من النزغات (بالغين المعجمة) التي ظهرت في العصر الحديث من بعض الناس وبعض الهيآت، للنيل من الإملاء العربي تحت شعارات مختلفة مثل الإصلاح والتسيير، فإنهم لم يصيبوا منه شيئا، فثبت عبر العصور، لابتنائه على أسس وطيدة، فقد راعى فيه القدماء اعتبارات مختلفة فيه، منها ما يرجع إلى التيسير في رسم ماشاع استعماله، ومنها ما يرجع إلى إزالة اللبس في المتشابهات، ومنها ما يرجع إلى بيان الأصول التصريفية للألفاظ (70) وغير ذلك ممّا مرّ ، ولله الحمد في الأولى والآخرة.

الهوامش:

1. شاع لفظ (الرسم) مصطلحا للخط الإملائي القرآني وسيأتي الكلام عليه إن شاء الله تعالى.
2. متن الشافية ص 551 ضمن مجموع مهمات المتون . دار الفكر د.ت.
3. المقدمة 417 دار القلم بيروت ط 7. 1409 هـ/1989 م.
4. انظر مادّة Préhistoire في Nouveau petit Larousse encyclopédique edition 1986 Librairie Larousse
5. إبراهيم أنيس. دلالة الألفاظ 36 مكتبة الأنجلو المصرية. القاهرة ط 3. 1972.
6. أنظر تفصيل هذا في علم اللغة للدكتور على عبد الواحد وافي 245 وما بعدها ط 5. مكتبة نهضة مصر بالفجالة 1382 هـ /1962 م.
7. ابن النديم، الفهرست 59. تحقيق مصطفى الشويمي، الدار التونسية للنشر، تونس 1406 هـ/ 1985 م. السيوطي، الإتقان في علوم القرآن 166/2.عالم الكتب بيروت د .ت.
8. محمد الطاهر بن عاشور التحرير والتنوير 131/16 الدار التونسية للنشر تونس، المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائر ط2 1984م.
9. السيوطي. الإتقان 166/2.
10. ابن النديم، الفهرست 57 وما بعدها.
11. المصدر نفسه 61
12. التحرير والتنوير 8 - 240/2
13. د. على عبد الواحد وافي فقه اللغة. 78 دار النهضة مصر الفجالة القاهرة د.ت.
14. ابن عاشور، التحرير والتنوير 213/1.
15. ابن عاشور، التحرير والتنوير 133/9 و 440/30.
16. ابن النديم، الفهرست 59، 60.
17. ابن عاشور، التحرير والتنوير 213/1 و214 و 101/3 و440/30 وانظر الفهرست 59 والمقدمة لابن خلدون 418 مع اختلافات في هذين المرجعين.
18. ابن النديم، الفهرست 62.

19. أبو عمرو الداني المقنع في معرفة مرسوم مصاحف أهل الأمصار ص9. دار الفكر المعاصر بيروت - دار الفكر دمشق تصوير 1403هـ/1983م عن ط1 1940م.
20. انظر ص 64 وما بعدها.
21. المصدر نفسه 66 وما بعدها.
22. د. علي وافي فقه اللغة 25 و30.
23. د. علي وافي علم اللغة 245 هامش 2 وص246، و247.
24. المرجع نفسه 245 هامش 1 وكذا ص 246.
25. د. وافي فقه اللغة 35 و38 وعلم اللغة 247.
26. فقه اللغة 36 وعلم اللغة 247.
27. د . وافي فقه اللغة 36، 37 وكذا علم اللغة 247، 248.
28. وقد رده الدكتور وافي انظر فقه اللغة 78 هامش 3.
29. أشتات مجتمعات في اللغة والأدب 23 وما بعدها دار المعارف مصر ط3 1970.
30. السيوطي، الإتقان 167/2.
31. النشر في القراءات العشر ص6. تصحيح ومراجعة الشيخ علي محمد الضباع. دار الكتاب العربي د.ت.
32. ابن الجزري شمس الدين، منجد المقرئين ومرشد الطالبين ص3، راجعه الشيخ محمد حبيب الله الشنقيطي والشيخ أحمد محمد شاكر. دار الكتب العلمية بيروت 1400 هـ/1980م.
33. محمد حبيب الله الشنقيطي، كتاب إيقاظ الأعلام لوجوب اتباع رسم المصحف الإمام ص9، 10 ط2/1402-1982 دار الرائد العربي بيروت.
34. أبو عمرو الداني، المقنع ص9.
35. المصدر نفسه ص 10.
36. الإتقان 167/2.
37. المصدر نفسه 167/2.
38. الصاحبي في فقه اللغة وسنن العرب في كلامها ص 34، 35 تحقيق مصطفى الشويمي ط. مؤسسة أ.بدران بيروت 1383 هـ /1964م.
39. كتاب إيقاظ الأعلام ص 10 وما بعدها.
40. المرجع نفسه ص 31 وما بعدها.
41. المقدمة 417، 418 (الفصل الثلاثون في أن الخط والكتابة من عداد الصنائع الإنسانية).
42. المصدر نفسه ص 419.
43. المصدر نفسه ص 419.
44. التحرير والتنوير 75/18 وكذا 7/10.
45. نفسه 200/10، 201.

46. نفسه 248/19.
47. نفسه 260/16 وكذا 340/26 و188/18.
48. نفسه 8 - 10/2.
49. كتاب إيقاظ الأعلام 33.
50. الإتقان 168/2.
51. نفسه 168/2.
52. نفسه 168/2.
53. نفسه 168/2.
54. نفسه 168/2.
55. التحرير والتنوير 328/18، 329.
56. نفسه 43/15.
57. نفسه 68/15. وكذا 8 - 108/2 حيث قال <<واصطلح أئمة رسم الخط على كتابتها في صورة كلمة واحدة رعيا لحالة النطق بها بإدغام النون في الميم>>.
58. نفسه 299/11 وانظر أيضا 368/15.
59. نفسه 214/18.
60. نفسه 314/25.
61. نفسه 217/10.
62. نفسه 168/21.
63. نفسه 319/28، 320.
64. نفسه 234/1 وكذا 80/3.
65. نفسه 62/18.
66. نفسه 64/21.
67. نفسه 151/19.
68. نفسه 234/1.
69. نفسه 18/3.
70. عبد السلام محمد هارون، قواعد الإملاء ص3 . ط 6. 1989/1409 مكتبة رحاب الجزائر.